مركز الثقل الاساسي في انهاض الكفاح الوطني للشعب الفلسطيني . **وثاني هذه القضايا** ، ان المقاومة الفلسطينية وضعت ، وهي لا زالت في سنواتها الاولى ، في مواجهة معضلات اكبر من حجمها واكبر من قدرتها . فالنهوض الوطني المتسارع لجماهير الشعب الفلسطيني بعد الهزيمة ، والهالة الرومانسية التي احيط بها العمل الفدائي في بدايات نهوضه ، اضافة الى النفخ الاعلامي العربي للانجازات الوطنية المحدودة التي حققها النضال الفلسطيني وهو يخطو خطواته الاولى ، قد ولدت تقديرات وحسابات خاطئة وغير صحيحة بالقوة الذاتية للمقاومة ، لدرجة ان حالة من الرومانسية الثورية طغت على الفكر السياسي للمقاومة ، ولدرجة ان مقولة من نوع « ان المقاومة هي البديل لكل حركات التحرر الوطني العربية » كانت من اكثر المقولات رواجا في اوساط المقاومة والاوساط الوطنية القريبة منها . من ناحية اخرى ، فقد ولدت هذه الاوضاع استنفارا مبكرا لدى القوى المعادية عبرت عنه بمحاولاتها المستمرة في توجيه ضربات سريعة ومبكرة لحركة المقاومة وهي لا زالت وليدة . كما ولدت ، ايضا ، شعورا مبكرا بالخطر لدى بعض الانظمة العربية الوطنية من ظاهرة نهوض الكفاح الفلسطيني المسلح ، مما جعلها تبكر في العمل على لجم هذه الظاهرة ، ولو تطلب الامر الصمت على ما كانت تقوم به القوى المعادية ضد حركة المقاومة .

ان قولنا هذا لا يعني — بأي شكل من الاشكال — ان نهوض المقاومة لن يستتبع بالضرورة ، التحرك المضاد والسريع للقوى المعادية أو تلك القوى التي ستشعر بالخطر من تبلور هذا النهوض في مجرى النضال اللاحق . فكل ثورة تواجه في سنواتها الاولى محاولات ضربها وسحقها وهي لا تزال وليدة وقبل ان تستكمل امكانات استمرارها الفاعل . ولذا فان أحد شروط النجاح لأي ثورة ، انها بقدر ما تكون واضحة على الصعيد الاستراتيجي ، فانها يجب أن تكون مرنة تكتيكيا في التعاطي مع المعضلات التي تواجهها خلال مسيرتها . ان الصلابة الاستراتيجية والمرونة التكتيكية صفتان اساسيتان لأي ثورة حتى تستكمل شروط نجاحها . ان كون النضال الوطني الفلسطيني يتسم بصفة النضال المعقد والصعب — بفعل عوامل عديدة — يجعل من الضروري ان تتلازم الصلابة الاستراتيجية مع المرونة التكتيكية . واذا اخذنا تجربة المقاومة في الاردن كأساس في رؤية ، الى أي مدى كان مثل هذا التلازم متوفرا ، نخرج بنتيجة محصلتها أن هذا التلازم كان مفقودا بشكل عام . ففي الوقت الذي كان فيه بعض فصائل المقاومة يغلب الصلابة الاستراتيجية على المرونة التكتيكية ، كانت فصائل اخرى تغلب المرونة التكتيكية على الصلابة الاستراتيجية ، مما أحدث خللا في امكانية رسم خط سياسي واضح ومتفق عليه لمواجهة المعضلات التي طرحها وجود المقاومة في الاردن ، ومما احدث ، ايضا ، ازمة ثقة في العلاقات بمنظمات المقاومة . ويناقش « ابو همام » هيثم الايوبي ، هذا التلازم بين الاستراتيجية والتكتيك من الزاوية العسكرية في مقال له حول معارك ايلول « الهدف بتاريخ ١٩٧١/٣/٢٧ » ويصف خطأ المقاومة — آنذاك — بأنه عناد استراتيجي ويحدده بأنه « تحديد هدف استراتيجي أكبر من القوة المتوفرة ، واكتشاف الاختلال في ميزان القوى خلال الصدام ، وعدم العمل على تعديل ميزان القوى أو تحديد أهداف مرحلية أصغر ، والتمسك على العكس بالهدف الاساسي ومتابعته بعناد حتى حدود الاستنزاف الذاتي » . ويؤكد مثل هذه النتيجة ، ايضا ، الشهيد غسان كنفاني ، في ندوة حول المقاومة الفلسطينية في وضعها الراهن « شؤون فلسطينية العدد ٢ ص ٦١ » حيث يؤكد أن مأزق المقاومة ينبع من « العناد اللاعقلاني للالتصاق بالهدف الاستراتيجي ، وعدم حل هذا التناقض الفظيع القائم بين ضخامة الهدف الذي طرحته المقاومة الفلسطينية وبين الامكانات التي بين يديها » .